مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 09 عدد: 2 السنة: 2020
ص: 407 - 423 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

إشكالات الأدب الرقمي؛ المصطلح، المفهوم، التلقي
Digital literature problematic; term, concept, receiving

[*] خولة بارة

Khaoula Bara

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2 (الجزائر)

University of Setif 2- Algeria

k.bara@univ-setif2.dz

تاريخ الإرسال: 07/ 12/ 2019	تاريخ القبول:08/02/2020	تاريخ النشر: 2020/06/02

ملخص البحث

لمع في الساحة الأدبية فن أدبي جديد يُعرف بالأدب الرقمي، يحاكي تجارب جديدة في الكتابة الحديثة تسمى بالكتابة الرقمية أو الإلكترونية، ظهر هذا النتاج مع ظهور الحاسوب وتطور مواقع التواصل الاجتماعي، فهو يُكتب ويُقرأ على شاشات الأجهزة الإلكترونية ويُتلقى عبر وسائط متعددة؛ نصية، صورية، صوتية وحركية في فضاء يسمح للمتلقي بالتحكم فيه. ومن الملحوظ أنّ هذا الوافد الجديد في عالم الإنتاج الأدبي لقي رواجا كبيرا بين أهل الاختصاص خاصة أنّه يتحرك في مجال مسيطر ومهيمن في حياة القراء والمتلقين والمتمثل في وسائل التواصل الاجتماعي والكتب الرقمية. هذا الأدب الذي يمكن أن نطلق عليه أدب المستقبل سيحدث لا محالة تحولا في شكل القراءة التي تستبعد عن التتابع لصالح قراءة اختيارية تصفحية لا تخضع سوى لرغبات القارئ واهتماماته، القارئ المبهور بكل جماليات العرض وبسير البحث والإبحار للوصول إلى مكمن الجمال في هذا الفن الجديد من الكتابة الأدبية.

الكلمات المفتاحية: أدب رقمي، كتابة إلكترونية، تلقي.

Abstract:

In the literary scene, a new literary art has shined which simulates new experiences in modern writing called digital or electronic writing, this product has appeared with the emergence of computer and the development of social networking sites, it is written and read on the screens of electronic devices which use several media (image, sound, video ...) in a space that allows the receiver to control it. It is noteworthy that this newcomer in the world of literary production has been in great demand among specialists, especially as it moves in a controlling dominant field in the lives of readers and receivers, namely social media and digital books. This literature, which

[*] خولة بارة. k.bara@univ-setif2.dz

can be called the literature of the future will inevitably change the form of reading, that heads in favor of an optional browsing reading that subject only to the wishes of the reader and his interest, The dazzled reader with all the aesthetics of the display, the ease of searching and navigation to reach the secret of beauty in this new art of literary writing.

Keywords: digital literature, Electronic Writing, Receiving

مقدمة:

قطع الأدب أشواطا عديد عبر مراحل تاريخية مختلفة من التطور ففي كل مرحلة كان يتغير وتظهر عليه علامات التجديد إلى أن وصل إلى ما نحن عليه اليوم في العصر الراهن والذي يعرف بمرحلة ما بعد الحداثة، إذ رأينا نوعا أو فنا جديدا من الأدب يعرف بالأدب الرقمي، هذا الفن الجديد الحديث النشأة ظهر مع ظهور الحاسوب الذي أصبح ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة بدخوله في كافة مجالاتها، ومن بينها المجال الأدبي وانتشر في ظروف عالم مليء بالسرعة والتجديد والتغيير والاستقبال والتلقي والاستهلاك، ولعل كل ذلك هو ما أدى إلى ولادة هذا الجنس الأدبي الجديد الذي يُزاوج بين الأدب والتكنولوجيا، ومن خلال امتزاج عام التكنولوجيا بعالم الأدب، وهذا التفاعل الحاصل بينها تمخض عنه الأدب الرقمي، وبما أنّه نتاج جديد من الأكيد أن تتوجه له أنظار الباحثين والدارسين وخاصة أصحاب الاختصاص بحثا في ماهية هذا الفن البارز في الساحة الأدبية المعاصرة، وكأي إنتاج جديد فإنّه لابد أن يأخذ تسميات عدة ومفاهيم مختلفة حسب خلفية كل باحث، كما أنّه سيتم تلقيه في ظروف خاصة غير الظروف التي تم فيها تلقي الأدب الورقي، إذ إنّ هذا الوافد الجديد – الأدب الرقمي – يختلف عن الأدب السابق عنه من خلال اعتماده على وسائط تسمح بانتشاره وتلقيه.

وعلى هذا الأساس جاءت إشكالية هذا المقال وفق طرح التساؤلات الآتية:

– ما المقصود بالأدب الرقمي وما ماهيته ؟

– هل هو امتداد للكتابة الورقية في قالب أدبي جديد ومغاير، أم أنّه انقطاع وانفصال عنها ؟

– ما مدى تلقي هذا الفن وكيف يتم تلقيه ؟

1– مفهوم الأدب الرقمي وإشكالية المصطلح:

إذا تأملنا في هذه التسمية (الأدب الرقمي) فإنّنا نجدها تتكون من كلمتين: أولها الأدب والمقصود به – كما هو متعارف عليه عند نقاد الأدب –: ذلك الفن الناتج عن التشكيل اللغوي المتكامل الذي يحقق الجمالية والشعرية والأدبية، إنّه "الفن اللغوي الجميل الذي يعبر شعرا أو نثرا عن تجربة تتخذ شكلا من الأشكال الأدبية المتعارف عليها كالشعر والقصيدة والرواية والمسرحية"[1].

وثانيهما الرقمي: ولعل هذا ما سنقف عند مفهومه بعض الشيء.

جاء في المعجم الوسيط لفظ "(رَقَمَ) الكتاب، وعليه، وفيه، رَقَمَ رقما: كتبه. و(الرقمُ): الخط الغليظ. والرقم العلامة. والرقم الختم. والرقم في عالم الحساب: هو الرمز المستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة: وهي الأعداد التسعة الأولى والصفر"[2]، فالرقم في اللغة العربية في أحد تعريفاته هو العدد.

وليس بعيدا عن هذا المعنى نجد الكلمة الفرنسية "Numérique" وكلمة "Digitale" في القاموس الفرنسي (Larousse) تحمل هي الأخرى نفس المعنى الذي يحمله معنى الرقم في العربية ألا وهو "العدد".

" Numérique adj. (du lat. numerus, nombre). 1. Qui relève des nombres; qui se fait avec les nombres, est représenté par un nombre. 2. Qui est évalué ou se traduit en nombre, en quantité. Supériorité numérique "[3]

" Digital, e, aux, adj. (de l'angl. digit, nombre, du lat. digitus, doigt). Informa, Télécomm, Vieilli, Anglic, Déconseillé, Numérique "[4].

أما بالنسبة لمعجم اللغة الإنجليزية "Oxford" فنجد كلمة "numerical" و كلمة "digital" هما الأخريان تحملان المعنى نفسه الذي نجده في العربية والفرنسية، وعليه يتضح أنّ كلا من لفظة "رقم" بالعربية و"numérique"/"numerical" و"digitale" / "digital" بالفرنسية والإنجليزية تحيل جميعها على معنى واحد وهو (العدد).

" numerical: adj. relating to, or expressed as a number or numbers "[5]

" digit. n. any of the numerals from 0 to 9 "[6]

أما بالنسبة لمفهوم الرقمنة في عالم الحاسوب فيقصد بها: تلك العملية التي تنقل المعلومات الصوتية والكتابية والفيديوهات والصور في الشبكة الإلكترونية أو تخزنها في ذاكرة الحاسوب، ويتم

الاعتماد في هذه المعالجة على النظام الثنائي المكون من العددين (1/0)، الذي يحول المعلومات والبيانات إلى أرقام لذا تسمى هذه العملية بالرقمنة.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأنّ الأدب الرقمي هو: تشكيل لغوي جمالي يُنتج عبر وسيط إلكتروني ويتم تلقيه عبره كذلك، فالشاشة الزرقاء "حوَّلت كل شيء في هذا العصر إلى صورة رقمية، تعتمد على ثنائية (1/0)، بما في ذلك الأدب"[7].

الأدب الرقمي وتعدد المصطلح:

إنّه لغني عن البيان أنّ كل مصطلح جديد يظهر في الساحة الأدبية أو النقدية إلاّ ونجد له عدة تسميات وذلك راجع لما يعرف بفوضى المصطلح، بحيث أنّ كل باحث أو ناقد يستعمل المصطلح الذي يجده مناسبا حسب خلفيته المعرفية، والشيء نفسه نجده مع مصطلح الأدب الرقمي؛ هذا الجنس الأدبي الذي يُعنى بكل شكل سردي أو شعري مُنتج عبر الحاسوب متخذا من الوسيط الإلكتروني ركيزة أساسية في تشكيله إذ لولا هذا الوسيط لما وُجِد هذا الجنس الأدبي، وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ هذا المصطلح قد طاله ما طال جل المصطلحات الجديدة الوافدة إلى الساحة الأدبية من تعدد المصطلحات والتسميات وبالتالي تعدد المفاهيم، والجدير بالذكر أيضا أنّ إشكالية المصطلح التي لحقت مفهوم الأدب الرقمي لم تطل المفهوم العربي فحسب، بل طالت كذلك المفهوم عند الغرب أولا، لكنها عند العرب كانت بتعقيد أكبر، لأنّ المسألة لم تكن متعلقة بطبيعة هذا النوع من الأدب فقط، بل بترجمة المصطلحات أيضا، فالإشكالية هنا على صعيدين؛ الأول على صعيد النوع الأدبي كنمط أدبي جديد، والثاني على صعيد الترجمة. فقد حُمِّلَ هذا المصطلح بأكثر من تسمية واحدة، ونجد الناقد جميل حمداوي قد عدّد التسميات التي حمَّلها أصحاب الاختصاص لهذا الأدب في كتابه: [الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق] والتي جاءت كالآتي:

"الأدب الرقمي(literature numérique)، والأدب التفاعل(littérature interactive)، والنص السيبرنطيقي(cybertext)، وأدب الصورة أو الأدب الديجيتالي(literature digitale)، والأدب الإلكتروني(literature électronique)، والنص المترابط(hypertexte)، والأدب الآلي(literature technologique)، والأدب الروبوتي(littérature robotique)، والأدب المبرمج(littérature programmé)، والأدب الحاسوبي(la literature par ordinateur)،

والأدب اللوغـاريتمي(literature logarithme)، والأدب الإعلامـي (literature informatique)، والأدب الويبي(littérature de web)، والكتابة الإنترنيتية (écriture de l'Internet)، والكتابـة الفيسبوكية(littérature par facebook)، وأدب الشاشـة (la littérature sur écran)... "[8].

كل هذه المصطلحات إنّما هي تسميات لشكل أدبي واحد ألا وهو الأدب الذي يُكتب إلكترونيا، ولعل هذه المسميات أغلبها نُسِبت إلى الوسيط الإلكتروني المعتمد في تشكيل هذا الأدب، فكان بإمكاننا القول أيضا – إن صح التعبير – الكتابة اليوتيوبية والكتابة الإيميلية والكتابة التويترية... الخ، نسبة إلى مواقع التواصل الاجتماعي اليوتيوب والإيميل والتويتر وغيرها، لكن الأشهر استعمالا من بين هذه المصطلحات نجد الأدب الرقمي، الأدب التفاعلي، والأدب الإلكتروني والنص المترابط أو التشعبي.

الأدب الرقمي (la littérature numérique):

يُعرفه الدكتور جميل حمداوي بقوله: «ذلك الأدب السردي أو الشعري أو الدرامي الذي يستخدم الإعلاميات في الكتابة والإبداع. أي: يستعين بالحاسوب أو الجهاز الإعلامي من أجل كتابة نص أو مُؤلَّف إبداعي. ويعني هذا أنّ الأدب الرقمي هو الذي يستخدم الوسائط الإعلامية أو جهاز الحاسوب أو الكومبيوتر، ويحوّل النص الأدبي إلى عوالم رقمية وآلية وحسابية»[9].

وتُعرفه فاطمة البريكي بقولها أنّه ذلك الأدب الذي: «يُقدَّم رقميا على شاشة الحاسوب، الذي يعتمد الصيغة الرقمية الثنائية (1/0) في التعامل مع النصوص أيا كان نوعها»[10].

وفي تعريف آخر له تقول: «يمكن تعريفه على نحو أكثر علمية وانضباطا بأنّه الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلاّ عبر الوسيط الإلكتروني أي من خلال الشاشة الزرقاء»[11]

وتُعرِّفه في موضع ثالث بقولها أنّه: « ذلك النمط من الكاتبة الشعرية الذي لا يتجلى إلاّ في الوسيط الإلكتروني، معتمدا على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة، مستفيدا من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية، تتنوع في أسلوب عرضها، وطريقة تقديمها للمتلقي / المستخدم، الذي لا يستطيع أن يجدها إلا من خلال الشاشة

الزرقاء، وأن يتعامل معها إلكترونيا، وأن يتفاعل معها، ويضيف إليها، ويكون عنصرا مشاركا فيها»[12].

أما سعيد يقطين فيقول: «مجموعة الإبداعات (والأدب من أبرزها) التي تولّدت مع توظيف الحاسوب ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي»[13].

ويُعرفه الدكتور العراقي مشتاق عباس معن الذي يُجمع النقاد على أنّه أول من نظم قصيدة شعرية رقمية في الأدب العربي، بقوله أنّه ذلك: «النص الذي يستعين بالتقنيات التي وفرتها التكنولوجيا وبرمجيات الحاسب الإلكتروني لصياغة هيكلته الخارجية والداخلية، والذي لا يمكن عرضه إلاّ من خلال الوسائط التفاعلية الإلكترونية كالقرص المدمج والحاسب الإلكتروني أو الشبكة العنكبوتية»[14].

هذه التعريفات للأدب الرقمي على اختلاف تسمياتها من ناقد لآخر – فجميل حمداوي يفضل استعمال مصطلح الأدب الرقمي، أما فاطمة البريكي فتستحسن استعمال مصطلح الأدب التفاعلي، أما سعيد يقطين فيستخدم مصطلح النص المترابط – إلاّ أنّها تدور في حلقة واحدة، مفادها أنّ الأدب الرقمي باختصار هو الأدب الذي لا يمكن تقديمه ورقيا، وتجمع هذه التعاريف على أنّ هذا النوع الجديد من الأدب في مفهومه البسيط هو ذلك الجنس الأدبي الذي ولد "في رحم التكنولوجيا، لذلك يُوصف بالأدب التكنولوجي، أو الأدب الإلكتروني، ويمكن أن نطلق عليه اسم الجنس (التكنو – أدبي)، إذ ما كان له أن يتأتى بعيدا عن التكنولوجيا التي توفر له البرامج المخصصة (software) لكتابته، وفي حالة عدم الاستعانة بهذه البرامج، فلا بد من الاستعانة بالخصائص التي تتيحها كتابة نص إلكتروني قائم على الروابط على أقل تقدير"[15].

ونتوصل من خلال كل ما سبق ذكره حول الأدب الرقمي إلى أنّ هذا الأخير يتميز بخاصيتين هما: "الأدبية" و"الإلكترونية"، فهو يحمل خاصية الأدبية كونه إمّا قصيدة أو رواية أو قصة أو حكاية أو مسرحية أو غيرها من أشكال الأدب، وذو طابع إلكتروني لأنّه لا يمكن تأليفه ونظمه وتقديمه في قالب أدبي فني جمالي إلاّ من خلال وسيط إلكتروني، إنّه إبداع أدبي يُطل علينا عبر شاشات الحاسوب، وسميَّ هذا الأدب بالأدب الرقمي أو الإلكتروني لأنّ صيغة عرضه تغيرت من الوسيط الورقي إلى الوسيط الرقمي.

والأدب الرقمي يتداخل مع عدة مفاهيم حتى وإن كانت كلها تعني المفهوم نفسه، هذا ما جعل كلا من جميل حمداوي وفاطمة البريكي يقدمان توصيفا عاما لأهم التسميات المتداولة في الساحة الثقافية العلمية، حيث تم تناول هذه التعاريف لإبراز أوجه الاختلاف والتباين بينها وإن كانت كلها تدور في فلك افتراضي واحد، وعليه سنقف عند مفاهيم أكثر المصطلحات تداولا وهي:

1– الأدب الإلكتروني (la littérature électronique): يُفرِّق الباحثون بين القصيدة الرقمية والقصيدة الإلكترونية فيرون أنّ " الأولى خاضعة لبرمجة حاسوبية دقيقة وهندسة برمجية معقدة وصعبة، في حين ترتبط الثانية بالنشر الإلكتروني السطحي المباشر"[16]، ويكتسب الأدب الإلكتروني صفة الإلكترونية "بحسب طبيعة الوسيط الإلكتروني الحامل له"[17]، إذ نجده "يتخذ عدة قنوات لتوصيل مختلف الرسائل، مثل: الإيميلات (emails)، والرسائل (SMS)، والبلوجات (blogs)، والفلاش (flash)، والبريد (les courriels) ... والأدب الرقمي يتميز عن الأدب الإلكتروني بكونه المنتج اللوغماريتمي والرياضي الحقيقي. أي: إنّ الأدب الرقمي هو نتاج الحوسبة الإعلامية، وخاضع للبرمجة الإعلامية، ومنسجم مع الهندسة الداخلية للحاسوب، على أساس أنّ الأدب الرقمي هو إنتاج إعلامي داخلي. في حين يعد الأدب الإلكتروني إنتاجا إعلاميا خارجيا"[18].

من خلال هذا التمييز بين الأدب الرقمي والأدب الإلكتروني يتضح أنّ كليهما أدب يقدم على الشاشة الزرقاء، لكن الأدب الرقمي يخضع لمعالجات برمجية تضفي عليه خاصية الرقمنة بالاستعانة بتقنيات متعددة كالألوان والصور والأصوات والموسيقى والوسائط المختلفة، في حين أنّ الأدب الإلكتروني يظهر على شكل رسائل فحسب.

2 – الأدب التفاعلي (literature interactive): إنّه الأدب المقدم إلكترونيا كذلك عبر شاشة الحاسوب، وهو يختص بالعلاقة التفاعلية بين المتلقي والنص الرقمي أكثر من اهتمامه بالنص الرقمي وكيفية إنتاجه، ويُقصد به "ذلك الأدب الذي يهتم بالعلاقة التفاعلية التي تنشأ بين الراصد والنص على مستوى التصفح والتلقي والتقبل"[19]، إذ يُشترط فيه الحضور التام للقارئ الفعال والمتفاعل، بحيث تترك فيه مساحة قد تكون أكبر للمتلقي من المؤلف ليسهم في إعادة إنتاج النص "ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلاّ إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد مساحة

المبدع الأصلي للنص"[20]، إذن هو الأدب الذي يهتم بالعلاقة التفاعلية القائمة بين النص والمتلقي.

وتحدد "فاطمة البريكي" السمات التي يتميز بها الأدب التفاعلي على النحو الآتي:

1- يُقدم نصا مفتوحا أو نصا بلا حدود، إذ يمكن أن يُنشئ المبدع نصا ويُلقي به في أحد المواقع على الشبكة الإلكترونية ويترك للقراء والمستخدمين حرية إكمال النص.

2- يمنح المتلقي فرصة الإحساس بأنّه مالك لكل ما يقدم على الشبكة؛ أي أنّه يُعلي من شأن القاري المتلقي الذي عان التهميش لسنوات ليست بالقليلة من قبل المهتمين بالنص الأدبي.

3- لا يعترف بالمبدع الوحيد للنص، وهذا ما يجعل المتلقين/ المستخدمين للنص التفاعلي مشاركين في إنتاجه، ومالكين لحق الإضافة والتعديل في النص الأصلي.

4- البدايات غير محددة في بعض نصوص الأدب التفاعلي، إذ يمكن للمتلقي أن يختار نقطة البدء التي يرغب من خلالها ولوج عالم النص.

5- النهايات غير محددة في معظم نصوص الأدب التفاعلي، فتعدد المسارات يعني تعدد الخيارات المتاحة أمام المتلقي، وهذا يؤدي إلى أن يسير كل متلق في اتجاه يختلف عن الاتجاه الذي يسير فيه الآخر.

6- يُتيح للمتلقين فرصة الحوار الحي والمباشر، وذلك من خلال المواقع ذاتها التي تقدم النص التفاعلي.

7- المزايا الست السابقة تتضافر فتقدم لنا ميزة أخرى تتمثل في كون درجة التفاعلية في الأدب التفاعلي تزيد كثيرا عنها في الأدب التقليدي المقدم على الوسيط الورقي.

8- في الأدب التفاعلي تتعدد صور التفاعل، بسبب تعدد الصور التي يُقدم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي/المستخدم [21].

3- أدب النص المتشعب أو المترابط (Hypertexte): المقصود بهذا المصطلح "أنّ النص الأدبي يترابط مع مجموعة من النصوص التفاعلية الأخرى التي تتشكل من كونها آلية وتقنية وإعلامية وبصرية وصوتية"[22]، ومن هنا فالنص المترابط أو المتشعب هو ذلك النص الذي "يتحقق من خلال الحاسوب، وأهم ميزاته أنّه غير خطي لأنّه يتكون من مجموعة من العقد أو الشذرات التي يتصل بعضها ببعض بواسطة روابط مرئية. ويسمح هذا النص بالانتقال من معلومة إلى

أخرى، عن طريق تنشيط الروابط التي بواسطتها نتجاوز البعد الخطي للقراءة لأنّنا نتحرك في النص على الشكل الذي نريد، ولقد اتسع استعمال النص المترابط مع ظهور الانترنيت والأقراص المدمجة التي تتضمن برامج تثقيفية أو ترفيهية"[23].

ويمكن اختصار كل هذه التعريفات في هذا القول: "إنّ الأدب الرقمي، والأدب الإلكتروني واحد، وإنّ النص التشعبي هو جزء من تقنية الأدب الرقمي والإلكتروني معا، وغياب التشعب لا يلغي كونه رقميا أو إلكترونيا، وإنّ "الأدب التفاعلي" يكتسب صفة التفاعل حقا، حينما يشارك القارئ، ليس في تذوقه فحسب، بل في إتاحته المجال لإنتاج شيء منه ونقده"[24]

وعليه فإنّ تعدد المصطلحات (رقمي، تفاعلي، ترابطي، إلكتروني) إنّما هو "تعدد يترجم حالة النص التخييلي الرقمي، ومن ثمة، فالضرورة النقدية تقترح الانخراط في تجربة التحليل الأدبي الرقمي، من أجل حركية اشتغال المفهوم"[25]، وكلها مصطلحات ناتجة عن تلاقح عالم الإبداع الأدبي بعالم التكنولوجيا المعلوماتية.

2- تلقي الأدب الرقمي:

أولت النظريات النقدية ما بعد الحداثية عناية فائقة بالقطب الثالث في العملية الإبداعية والذي طاله بعض التهميش ردحا من الزمن بعدما كانت السلطة بيد المؤلف ثم انتقلت بعد ذلك إلى النص، فحملت هذه النظريات - وعلى رأسها نظرية التلقي - على عاتقها مهمة إعادة بناء تصور جديد للعملية الإبداعية أقحمت فيها المتلقي وجعلت منه مركز الاهتمام والسلطة بيده، فانتقل مركز الاهتمام من النص إلى القارئ مع الاحتفاظ بالعلاقة التفاعلية بينهما، ورأت أنّ عملية القراءة تتحرك على مستويات مختلفة من الواقع من بينها "واقع النص، واقع القراءة، ثم أخيرا من خلال واقع جديد لا يكون إلاّ من خلال التلاحم الشديد بين النص والقارئ، وعندئذ تكون القراءة قد أدّت دورها لا من حيث أنّ النص قد أُستقبل، بل من حيث أنّه أثّر في القارئ"[26]

فعندما جاءت هذه النظريات اهتمت بالعلاقة التفاعلية بين (النص / المتلقي) حيث تُحدد عناصر المنظومة الإبداعية مع النص الورقي سابقا على الصيغة الآتية: (المؤلف - النص - المتلقي)، لكننا اليوم أمام نص رقمي، نص إلكتروني تغيرت فيه المعطيات وأصبحت عناصر المنظومة الإبداعية فيه على النحو الآتي: (المؤلف - النص - الوسيط - المتلقي)، "ولكي يكتسب هذا الأدب الجنسية التفاعلية عليه أن يتصف بوسيط إلكتروني - حاضن وناقل - ...

والوسيط هذه المرة هو الحاسوب الذي يتمتع بأشياء وسمات تقنية تلقي بظلالها على نحو واضح في تقديم وتوزيع المنجز الإبداعي"[27]

وهذا ما يجعلنا أمام تساؤل مفاده: هل يستطيع المتلقي التفاعل مع النص الرقمي بالمستوى والكفاءة نفسهما التي يتم بهما التفاعل مع النص الورقي مع الأخذ بعين الاعتبار الوسيط الإلكتروني المستخدم في إنتاج الأدب الرقمي ؟

كما ذكرنا سابقا فإنّ الأدب الرقمي يطلق عليه تسمية (الأدب التفاعلي) ولا شك أنّ هذه العملية تتعلق بالمتقي لهذا الفن الأدبي الجديد في علاقته من النص المقدم له على الشاشة الزرقاء فهو لا يسمى أدبا "تفاعليا إلاّ إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص"[28].

ونظرا للتغيرات التي طرأت على المبدع الذي انتقل من الطور الورقي إلى الطور الإلكتروني فإنّه بالضرورة سيمس هذا التغيير المتلقي أيضا إذ يصبح هو الآخر متلقيا إلكترونيا بعدما كان متلقيا ورقيا لأنّه يستقبل نصا عبر وسيط إلكتروني "تتسع دائرته ليشمل أنواع الأدب المختلفة من شعر ومسرح وقصة ورواية ومقال، ومن خلال استعانة هذا الجنس الجديد بالإمكانات التقنية التي تتيحها التكنولوجيا لتقديم نص مختلف الوسيط يقوم على أساس تفاعل المتلقي ومشاركته، ليكون شاعرا مع القصيدة الرقمية وليكون روائيا مع الرواية الرقمية ويكون قاصا مع القصة الرقمية وهكذا مع بقية مجالات الإبداع الفنية الرقمية الأخرى، ولعلّ دور المتلقي يتجاوز هذه الحدود في إطار التفاعل ليكون مبدعا فيضفي ملامح جمالية وقيمية جديدة على المنتج الفني الرقمي لم تكن فيه ولم تكن في ذهن المبدع الأول، وبمثل هذا لا يعدّ الشاعر والقاص والروائي حاكما للنص قيما عليه، بل إنّنا بصدد طغيان التفاعل الفني الرقمي للمتلقي مع النص أو المدونة، التي تضم النص وما حول النص من الأبعاد السمعية والبصرية ولا يغيب عن الأذهان أنّ مثل هذا التفاعل يكسب النص والمدونة هوية جديدة مع كل تصفح وتنمو هذه الهوية وترتقي كلما ارتقت القدرات الإدراكية للمتلقي والإمكانات التقنية الآلية الرقمية وبرامجها"[29].

والملاحظُ مع هذا الأدب الجديد أن "يُسلِّم المبدع الإلكتروني نصه للمتلقين الإلكترونيين، ويترك لهم حبل القراءة والتلقي والمشاركة في إنتاج معنى النص على غاربه، وكأنّ كل متلق منهم هو

المالك الحقيقي لذلك النص، وله حق التصرف وإبداء الرأي، وتسيير الأحداث فيه كما يشاء، وفي هذا تطبيق للمقولات التي طرحتها نظرية التلقي"[30].

بالنظر إلى أنّ أهم نظرية نقدية اهتمت بالمتلقي هي "نظرية التلقي" ، فإنّنا سنستعرض أهم المقولات التي جاء بها رائدا هذه النظرية (فولفغانغ إيزر وهانس روبرت ياوس) ونرصد مدى فعاليتها عند تطبيقها على النص الرقمي.

1– فعل القراءة وبناء معنى النص الرقمي: يقصد إيزر بفعل القراءة ذلك التفاعل الحاصل بين القارئ والنص وهو عملية اتصال تسير في اتجاهين من النص إلى القارئ ومن هذا الأخير إلى النص على عكس ما قال به انغاردن أنّ العملية تكون في اتجاه واحد وهي من النص إلى القارئ، وهذه القراءة الجدلية التفاعلية التواصلية هي القراءة المنتجة. ففعل القراءة يتحقق بالتفاعل الحاصل بين النص والقارئ الذي يتمخض عنها نص جديد هو إبداع ثان، لكن إي إبداع هذا؛ إنّه النص الرقمي الخاضع لتقنيات عديدة والمنتج عبر وسيط إلكتروني، والموجه لعدة قراء وليس لقارئ واحد.

كما أنّ إخراج النص من عالمه المجرد إلى عالمه الملموس هو أساس فعل القراءة القائم على التفاعل بين النص والقارئ، ذلك أنّ العمل الأدبي عند إيزر لا يقصد به النص إلاّ بعد تحققه وتجسده من خلال تفاعله مع القارئ، فليس للمعنى وجود حقيقي خارج إدراك القارئ، لأنه كتابة سلبية تتحول إلى كتابة إيجابية من خلاله أو بفضله "فالنص ذاته لا يقدم إلا مظاهر خطاطية يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنص، بينما يحدث الإنتاج الفعلي من خلال فعل التحقق، ومن هنا يمكن أن نستخلص أن للعمل الأدبي قطبين قد نسميهما: القطب الفني، والنقدي الجمالي، والأول هو نص المؤلف، والثاني هو التحقق الذي ينجزه القارئ"[31]، وإذا ربطنا هذا بالنص الرقمي فإنّ القطب الأول هو ذلك النسيج اللغوي الذي قدمه لنا المؤلف في قالب شعري أو نثري معين عبر وسيط إلكتروني، أما القطب الثاني فهو التحقق الذي ينجزه القارئ من خلال عملية القراءة، والأثر الأدبي لا سبيل لتحقيقه إلا من خلال تجاوبه وتفاعله مع القراء، ذلك أنّ "الأدب في جميع أطواره، لا يكتسب وجوده وكينونته إلا بتفاعل المتفاعلين المختلفين معه"[32].

لقد "وفرت شبكة الإنترنيت فرصا عديدة يمكن للقارئ من خلالها طرح رأيه وتعليقه مكتوبا، أو بمجرد الضغط على أيقونات الإعجاب في موقع مثل فيس بوك مثلا، أو إعادة التغريدة في تويتر، في دلالة على مشاركة القارئ للكاتب في فكرة إعجابه بنصه المنشور هنا أو

هناك"[33]، وهذا ما يعرف عند إيزر بفعل القراءة وبناء المعنى، إذ يندمج القارئ من خلال العلاقة التفاعلية بينه وبين النص في العملية الإبداعية، فيصبح بذلك مبدعا ثان، وليس هذا فحسب بل إنّ النص الرقمي قد فسح المجال أمام القارئ للتعليق وإبداء رأيه والضغط على أيقونات الإعجاب وإمكانية الحذف والتغيير والإضافة، ناهيك على أنّه لا يوجد قارئ واحد للنص الرقمي بل هناك الكثير ممن يساهمون في إنتاج المعنى بحيث "يستطيع المتلقي أن يشارك في كتابة فصول الرواية، وأن يتعامل مع المبدع الذي أصبح أكثر تقبلا لفكرة مشاركة الآخرين له في كتابة نصه، ولمبدأ التعاون الإبداعي، والكتابة الجماعية"[34]، وهذا ما يطرح مقولة أخرى من مقولات نظرية التلقي وهي:

2- الفراغات أو البياضات: إنّ ذلك التفاعل والتجاوب القائم بين النص والقارئ يجعل من هذا الأخير يقوم بدور فعّال وإيجابي في إعادة إنتاج المعنى فكل "قارئ مؤلف جديد للنص، وكل قارئ يحمل معه تجربة معرفية تُغني النص، أو تعيد إنتاجه من جديد"[35]، وهذا التفاعل ينتج عن تقنية فنية في بنية النص تعرف بـ: الفجوات أو مواقع اللاتحديد، حيث تثير هذه الأخيرة في نفس المتلقى ضرورة ملئها ويكون هذا الإجراء من خلال عملية الإدراك والمشاركة في بناء المعنى وبهذا تتحقق القيمة الجمالية للأعمال الأدبية، فإيزر "يرى أنّ المؤلف في حاجة مباشرة إلى التعاون مع القارئ المدرك للإبداع، كما يرى أنّ النصوص الأدبية تحتوي دائما على فراغات لا يملؤها إلاّ القارئ"[36].

وإنّ عملية ملء الفراغات في النص الرقمي تختلف عن ملئها في النص الورقي ذلك أنّ طبيعة النص الرقمي تجعل من هذه الفراغات تبدو أكثرا وضوحا، ويستطيع القارئ المار بالنص على عجل أن يُلاحظ وجودها، وأن يميز النص الذي يترك له فسحة ليدلي في النص بدلوه، فهي مصحوبة بدعوات إعلانية للقارئ من قبل المبدع بأن يحاول أن يكمل النص وفق ما يراه مناسبا، وأن يضيف إليه ما يُتم به فكرته [37]، وخاصة مع تعدد القراء المشاركين في سد هذه الفجوات إذ يفيد منها المبدع والمتلقي على حد سواء فيُضفي ذلك على النص بعدا جماليا جديدا. على عكس النص الورقي ففراغاته وبياضاته ومواقع اللاتحديد فيه غير واضحة وغير جلية ولا تظهر بسهولة فلا يُمكن ملاحظتها وملؤها إلا من قبل القارئ الحاذق.

3- **أفق التوقعات** (**أفق الانتظار**): مفهوم إجرائي قدمه ياوس، ويقصد به أنّ لكل قارئ معيارا خاصا يستقبل به النص، فهو نظامه المرجعي، ويُطلق عليه أفق انتظار القارئ، وهو يعني

تهيؤه المسبق لاستقبال النص وتذوقه له، ويُعد معيار الخبرة الجمالية التي تختلف من شخص لآخر، إنّه يقوم على تلك المقاييس والمعايير التي يستعملها القراء لتفسير النصوص الأدبية وتأويلها، وعلى هذا الأساس فإنّ أفق التوقع يُعد محورَ نظريةِ التلقي وهو من يحدد معنى النص، وهذا الأفق تحدده ثقافته وتعلمه وقراءاته السابقة، وأشياء كثيرة أخرى. فعندما "يشرع المتلقي عادة في قراءة عمل حديث الصدور فإنّه ينتظر منه أن يستجيب لأفق انتظاره"[38]، لكن للنّص أيضا "أفقَه، وقد يختلف هذا الأفق أو يتفق مع أفق توقع القارئ، مما ينتج عنه حوار أو صراع بين الأفقين، ويمكن لتصادم الأفقين – المفترض في كل قراءة – أن يتمخض عنه إثبات انتظار القارئ أو تغيره أو إعادة توجيهه"[39] ويمكن أن نحدد حالات هذا الصراع بين الأفقين إن صح التعبير كالآتي:

الرضا أو التوافق: وهو حالة تطابق الكتابة أو موضوعها مع أفق انتظار القارئ، وهنا يحدث إثبات انتظار القارئ.

الخيبة: وتتجسد في عدم تطابق أفق انتظار النص مع أفق توقع القارئ (شكلا ومضمونا) فتحدث خيبة انتظار "فمن طبيعة كل انتظار أن يحتمل خيبة"[40].

التغيير وإعادة التوجيه: تتجسد هذه الحالة في كون النص قادر على تغيير وتوجيه أفق انتظار القارئ وتحويله من قيمة جمالية إلى أخرى "فالنص ذو الفنية العالية يمكنه قلب موازين القارئ، ويجعله يعيد النظر في أفق انتظاره وفي ذوقه الجمالي"[41].

يتحدد أفق الانتظار في النص الرقمي من خلال تعدد القراءات لهذا النص، إذ ذكرنا سابقا أنّه لا يوجد قارئ/ متلقي واحد له، فعملية القراءة الرقمية في نقاش مستمر إذ إننا أمام تجمع قُرائي كثيف يستنطق النصوص ويملأ فراغاتها ويعيد إنتاجها، وكثرة التعليقات على هذا النوع من النصوص يُفرز لنا كمّاً لا بأس به من الآراء ووجهات النظر حوله يأخذها بعين الاعتبار كل من السارد والمتلقين، والتي قد تتوافق أحيانا مع أفق انتظار النص، وفي أحايين كثيرة يخيب أفق انتظار القراء، وفي أحيان أخرى يقلب النص موازين القراء فيغيرون من وجهات نظرهم، كما نجد كذلك توافق أفق انتظار القراء فيما بينهم تجاه هذا النص وهذا التوافق كله يكون وليد اللحظة ذلك أنّهم أمام نص مقدم لجمهور القراء في الآن نفسه فبسرعة عالم التكنولوجيا وبمساهمة الوسيط – الحاسوب – يصل النص في الدقيقة الواحدة إلى آلاف المتلقين/ المستخدمين، فتكون التعليقات

حوله كلها معروضة للجميع وفي فترة زمنية وجيزة على عكس ما نراه مع النص الورقي الذي عادة ما يصل إلى القراء في مدة أطول بكثير من المدة التي يصل فيها النص الرقمي.

4- المسافة الجمالية: مفهوم جاء به ياوس وهو مفهوم يتمم مفهوم أفق التوقع ويقصد به تلك "المسافة الفاصلة بين أفق انتظار الجمهور وأفق النص"[42] ويمكن الحصول على هذه المسافة من خلال استقراء ردود أفعال جمهور القراء/ المستخدمين إزاء العمل الأدبي الرقمي، أي من خلال وجهات النظر والأحكام النقدية المتناثرة في التعليقات التي وُجهت إليه، وهذه المسافة الجمالية تعد المعيار الذي تقاس به جودة العمل الأدبي وقيمته، فكلما اتسعت المسافة بين أفق الانتظار الموجودة سلفا والعمل الأدبي كان العمل الأدبي عملا فنيا ذا جودة عالية أما إذا كانت المسافة بينهما ضيقة فإنّ العمل يكون بسيطا، أي إذا توافق أفق توقع القارئ مع أفق توقع النص الرقمي كانت المسافة ضيقة والعمل الأدبي بسيط وإذا حدث تخييب لأفق انتظار القارئ كانت المسافة واسعة والعمل الأدبي الرقمي جيد وذو قيمة أدبية عالية، وعليه فإنّ المسافة الجمالية تتحدد بتخييب الأفق.

وغني عن القول إنّ نسبة تلقي النص الرقمي في تزايد مستمر إذ تؤكد الدراسات أنّ الأدب الرقمي رصد عددا أكبر من القراء بالنظر إلى نسبة قراءة الأدب الورقي التي تراجعت في الآونة الأخيرة وهي في تراجع مستمر في ظل ما تشهده الحياة الثقافية من سرعة انتشار البرامج الإلكترونية، وإن كانت هذه القراءة بالإرغام أو بمحض الصدف، فطبيعة هذه المواقع المنتشرة على شاشات الهواتف الذكية تفرض أحيانا على المتلقين قراءة نصوص ليست في مجال تخصصهم حتى. ولا يخفى علينا أمر مهم هو: أنّ الأدب الرقمي المقدم على شاشة الحاسوب يصاحبه دائما مجموعة من المؤثرات من موسيقى وصور ثابتة ومتحركة وإعلانات تظهر وتختفي وتعاود الظهور من جديد فتحدث بذلك نوعا من التشويش، فتشتت انتباه القارئ وعليه فقد يطلق أحكاما غير دقيقة على النص الذي هو بصدد قراءته، كما أنّ القارئ قد يتأثر كذلك بتعليقات متلقين سبقوه، فعوض أن يضع رأيه بدقة وتمعن يتأثر بتعليق سبقه فيضع تعليقا مشابها أو مطابقا له.

خاتمة:

في نهاية كل بحث نتوصل إلى مجموعة من النتائج تكون بمثابة استنتاجات وملاحظات تم رصدها أثناء عملية البحث والدراسة، وقد سجلت هذه الدراسة مجموعة من النتائج تمثلت في:

1- أنّ الأدب الرقمي على اختلاف تسمياته مضمونه واحد؛ ويتمثل في كونه الأدب الذي يُقدم على شاشة الحاسوب.

2- الأدب الرقمي لا يمثل قطيعة مع الأدب الورقي، بل هو استمرار له بما أنّه يتصف بالسمة الجمالية، لكنه يُقدَّم في قالب جديد عبر الوسيط الإلكتروني، وهذا ما اقتضته الحاجة بما أنّنا في عالم التكنولوجيا والسرعة الذي يمس الأدب كذلك بما أنّه جزء من الحياة الفكرية والثقافية، فكما اقتضت الحاجة في العصور السابقة إلى تدوين الأدب بعدما كان مشافهة وإخراجه عبر وسيط ورقي في شكل كتاب تقتضي الحاجة الآن إلى إخراج النص عبر شاشات الحاسوب.

3- يُعد تلقي الأدب الرقمي أسرع بكثير من تلقي الأدب الورقي، ذلك أنّه سريع الانتشار والوصول إلى المتلقين/المستخدمين وهذا بفضل الوسيط الإلكتروني.

هوامش:

1 فاروق شوشة، محمود علي مكي: معجم مصطلحات الأدب، ج1، مجمع اللغة العربية، القاهرة – مصر، 2007، ص: 6.

2 شوقي ضيف: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق العربية، مصر، ط4، 2004، ص: 366.

3 Dictionnaire de la langue française; Le petite Larousse, paris, 2000, p: 704.

4 Ibid, p: 334.

5 Concise Oxford English Dictionary, edited by JUDY PAERSALL, 10^{the} edition, 2002, p: 977.

6 Ibid, p: 400.

7 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، بيروت – لبنان، ط1، 2006، ص: 20، 21.

8 جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية)، مؤسسة المثقف العربي، ط1، 2016، ص: 14.

9 المرجع نفسه، ص: 15.

10 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي،ص: 75.

11 المرجع نفسه، ص: 49 .

12 المرجع نفسه، ص: 77.

13 سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط؛ مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان/ الدار البيضاء – المغرب 2005، ص: 9، 10.

14 عبد الله بن خميس بن سوقان العُمري: جماليات الأدب الرقمي وإشكالية تعدد المكونات، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة معسكر، العدد 05، 2015، ص: 106.

15 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 73.

16 جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ص: 10.

17 إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية (مدخل إلى النقد التفاعلي)، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، ط1، 2013، ص: 19.

18 جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ص: 10، 11.

19 المرجع نفسه، ص: 14.

20 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 49.

21 يُنظر المرجع نفسه، ص: 50، 51، 52، .53.

22 جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ص: 11.

23 سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط، ص: 264، 265.

24 إبراهيم أحمد ملحم: الأدب والتقنية (مدخل إلى النقد التفاعلي)، ص: 15.

25 زهور كرام: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع القاهرة، ط1، 2009، ص: 103.

26 يُنظر: عصام شترج: الشعرية بين فعل القراءة وآلية التأويل (دراسة في التلقي والتأويل الجمالي)، دار الخليج، 2017، ص: 56.

27 عادل نذير: عصر الوسيط؛ أبجدية الأيقونة دراسة في الأدب التفاعلي – الرقمي، كتاب ناشرون، بيروت – لبنان، ص: 48.

28 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 49.

29 حافظ الشمري، إياد الباوي: الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغير الوسيط، مركز الكتاب الأكاديمي، 2018، ص: 28.

30 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 149.

31 فولفغانغ إيزر: فعل القراءة؛ نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد لحميداني والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس – المغرب، 1995، ص: 12.

32 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 54.

33 علي بن أحمد زعلة: النص الرقمي بين الإنتاج والتلقي، قراءة في التشكيل الجمالي والدلالي، المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية، المجلس الدولي للغة العربية، دبي، 4- 7 ماي 2016، ص:163.

34 فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 149.

35 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، ط2، 2009، ص:217.

36 عبد الناصر حسن محمد: نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، القاهرة – مصر، 1999، ص: 93.

37 يُنظر: فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص: 154.

38 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، ص: 222.

39 المرجع نفسه، ص: 223.

40 جيرد براند: العالم والتاريخ والأسطورة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد 4، العدد 1، 1983، ص: 108.

41 وليد قصاب: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، ص: 222.

42 المرجع نفسه، ص: 224.